فاذا ألغيت من آداب اللغة كل الآثار التى لا تتعدى مزيتُـها أسلوبَها ، والتى هزلت معانيها أو كذبت أو لم تزد على التمحل والمبالغة والتخريج والاغراب ، لم يبق لك إلا القليل من الأدب السامى الذى اجتمعت له مزايا المعنى القيم والموضوع المهم المفيد والأسلوب المحكم ، كأشعار الفحول فى الحكمة والوصف الطبيعى والتعبير الصادق عن الوجدان والنسيب الحقيق والحماسة وما إلى ذلك ، وتلك دون غيرها هى الجديرة أن تسمى آداباً

وهذه الآثار — وأحسن نماذجها حكمة المتنبي وأوصاف ابن الرومى وأبى تمام والبحترى ونظرات المعرى ووجدانيات الشريف الرضى ، ورسائل الجاحظ — هى خلاصة الثقافة التى يخرج بها الدارس من الأدب العربى ، وهذا المحصول الثقافى هو بلا شك دون المحصول الذى يظفر به مطالع الأدب الانجليزى ، الذى أوسع أقطابُه النفس الانسانية والحياة البشرية والمحاسن الطبيعية درساً ووصفاً ومناجاة

لقد أشرت إلى الظروف التى أحاطت بالأدب العربى فأدخلت فيه كثيراً من زيف الصنعة وكاذب القول وغلَّبت الأسلوب فى كثير منه على المعنى ، ولعل طبيعة اللغة العربية قد ساعدت على هذا التغليب ، وأمدَّت لمن انصرفوا بكلياتهم إلى الأسلوب وجمعت حولهم المستجيدين : لما للغة العربية من بلاغة أصيلة ، وموسيقى نغمة ، وما لألفاظها وتراكيبها فى الآذان والنفوس من روعة وفتنة ، وما لأوزان الشعر العربى وقوافيه من رصانة واتساق بحيث يستطيع المتمكن من كل هـذا أن يستولى على الألباب دون أن يبتدع فى المعنى ، كما يَصرِفك جمال اللحن الموسيقى عن تفاهة المعنى المتغنَّى به أحياناً

وقد زالت اليوم الظروف التى لابست الأدب العربى قديماً ، فهبطت بمعانى الكثير منه وأدخلت عليه الزيف والصنعة وزيغ النظرة إلى الغرض منه ، وما زالت للغة سمتها ومقدرتها وجمالها وموسيقاها ، فاذا اجتمع صدقُ النظرة إلى الأدب ومطاوعةُ أداته وهى اللغة ، إذا قرنت المعانى المبتكرة السامية إلى اللغة الفنية المساعدة ، فما أجدر الأدب العربى أن يتبوأ منزلة عالية بين الآداب ، وما أقوى الأمل فى أن يفوق مستقبله كلَّ ماعرف ماضيه

فخرى أبو السعود

من تراثنا العلمى

٢ — كتاب فى البيزرة

وصف وتحليل لنسخة فريدة من كتاب مفقود ، فى علم ضائع ، لمؤلف مجهول

للأستاذ على الطنطاوى

« ابواب الكتاب »

المقـدمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى له فى كل لطيف من خلقه مُعجز يُتفكَّر فيه ، وخفيٌّ من صُنعه يُتنبَّه به عليه ، ونِعَم تقتضى مواصلة حمده ، ومِنَنٌ تحثُّ على متابعة شكره . والذى ميّز كل نوع من حيوانٍ خلقه على حِدته ، وأبانه بشكله وصورته ، وجعل له من الآلة ما يلائم طبعه ومُرَكَّبه ، ويسِّره للأمر الذى خُلق له ، ويؤدّيه إلى مصلحته ، وقوام جسمه . وجعلنا من أشرف ذلك كلّه نوعاً ، وأتمّه معرفة ، وجمع فينا بالقوّة ما فرّقه فى تلك الأصناف بالآلة ، فليس منها شيء مخصوص بحالٍ له فيها مصلحة إلا ونحن قادرون على مثلها ؛ كذوات الأوبار التى جعلت لها وقاءً وكسوة تلزمها ولا تعدمها ، فانا بفضل حيلة العقل نستعمل مثل ذلك إذا احتجنا إليه ، ونفارقه إذا استغنينا عنه ؛ وكذوات الحدّ والشوكة من صدف أو مخلب ، فان لنا مكان ذلك ما نستعمله من السيوف والرماح وسائر الأسلحة ؛ وكذوات الحافر والظلف فان لنا أمثال ذلك مما ننتعله ونتّقى أذى الأرض به . وجعل لنا خدماً وأعواناً ، وزينة وجمالاً ، وأكلاً وأقواتاً ؛ فبعض نمتطيه ، وبعض نقتنيه ، وبعض نتغذيه . وأحلّ لنا صيد البرّ والبحر والهواء ؛ نقتنص الوحش من كناسها ، ونحطّها من معاقلها ، ونستنزل الطير من الهواء ، ونستخرج الحوت من الماء . ولم يكلنا فى ذلك إلى مبلغ حيلتنا حتى عضدنا عليه ، وسهّل السبيل إليه ، بأن خلق لنا من تلك الأنواع أشخاصاً أغراها بغيرها من سائر أجناسها ، ووصلها من آلة الخلقة وسلاح البِنية ،

وقبول التأديب والتضرية ، والانطباع على الأكف ، والاستجابة . فدلّنا على موضع الصنع فيها ، وموقع الانتفاع بها ، كالفهد والكلب وسائر الضوارى ، والبازى والشاهين وسائر الجوارح كلما يحويه من ذلك لنا كاسب وعلينا كادح ، وبمصلحتنا عائد ؛ نستوزعه جلّ جلاله الشكر على ما منحناه من هذه الموهبة ، وفضلنا به من هذه التكرمة ، إلى ما تقصر عن تعداده ، ونعجز عن الاحاطة به من عوائد كرمه ، وفوائد قسمه ؛ ونرغب إليه جلّ جلاله فى العون على طاعته ، ومقابلة إحسانه باستحقاقه . وصلى الله على محمد نبيه الصادق الأمين ، البشير النذير ، وعلى آله الطيبين الأخيار وسلم تسليماً ، وعلى الأئمة من ولد الحسين بن على بن أبى طالب حتى تنتهى الى العزيز بالله أمير المؤمنين فتشمله ونسله الى يوم الدين

إن للصيد فوائد جمّة ، وملاذ ممتعة ، ومحاسن بينة ، وخصائص فى ظلف النفس[1] ونزاهتها وجلالة المكاسب وطيبها كثيرة ؛ فيه يستفاد النشاط والأريحية ، والمنافع الظاهرة والباطنة والمران والرياضة ، والخفوف والحركة ، وانبعاث الشهوة واتساع الخطوة ، وخفة الركاب ، وأمن من الأوصاب ؛ مع ما فيه من الآداب البارعة ، والأمثال السائرة ، ومسائل الفقه الدقيقة ، والأخبار المأثورة ما نحن مجتهدون فى شرحه وتلخيصه ، وتفصيله وتبويبه فى هذا الكتاب المترجم بكتاب (البيزرة) على مبلغ حفظنا ، ومنتهى وسعنا ، وبحسب ما يحضرنا ، وينتظم لنا اتباعاً فيما لا يجوز الابتداع فيه ، وابتداعاً فيما أغفله من تقدمنا ممن يدعيه ، ونحن مقدمون ذكر الأبواب التى تشتمل على ذلك ليأتى كل باب منها فى معناه ، وبالله الحول والقوة ، ومنه عز وجل التوفيق والمعونة

(باب) من كانت له رغبة فى الصيد وعنده شيء من آلته من الأنبياء صلوات الله عليهم ، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن الأشراف

(باب) تمرين الخيل بالصيد والضراوة ، وجرأة الفارس على ركوبها باقتحام العقاب ، وتسنم الهضاب ، والحدور والانصباب

(باب) ما قيل فى طرد كل صنف من وحش وطير

(١) ظلف نفسه عن الشيء منعها من أن تفعله أو تأتيه أو كفها عنه

(باب) فضائل الصيد ، وأنه لا يكاد يحب الصيد ويؤثره إلا رجلان متباينان فى الحال ، متقاربان فى علو الهمة : اما ملك ذو ثروة ، أو زاهد ذو قناعة ، وكلاهما يرى اليه من طريق الهمة إما لما تداوله الملوك من الطلب وحب الغلبة الخ . . . والفقير الزاهد لظلف نفسه عن دنىء المكاسب ، ورغبتها الخ ، فمن هذه الطبقة من يقتات من صيده ما يكفيه ، ويتصدق بما يفضل عنه توقياً من العاملة والمبايعة ، ومنهم من يبيع ما فضل عن قوته ، ويعود بثمنه فى سائر مصلحته ، وكانت هذه حال الخليل بن أحمد الفرهودى مع فضله وأدبه وكمال علمه وآلاته الخ . . وكان جلة الناس فى عصره يجتذبونه الخ . . . فأحد من كاتبه سليمان بن على الهاشمى ، فكتب الخليل بن أحمد إليه :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة وفى غنى غير أنى لست ذا مال
شحّى بنفسى أنى لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حال[1]

«قال» وقلما رأيت صائداً إلا تبينت فيه من سيما القناعة الخ . . وقال أرسطاطاليس : أول الصناعات الضرورية الصيد ، ثم البناء ثم الفلاحة . ولو أن رجلاً سقط إلى بلدة ليس بها أنيس ولا زرع لم تكن له همة إلا حفظ جسمه ونفسه بالغذاء الخ . . . ويغدو للصيد اثنان متفاوتان : صعلوك متصحق الأطمار ، وملك جبار ، فيتكافأ الصعلوك غانماً ، ويتكافى الملك غارماً ، وإنما يشتركان فى لذة الظفر الخ . . . وقال أبو العباس السفاح لأبى دلامة سل ! . . فقال : كلباً ، قال : ويلك وما تصنع بكلب ؟ قال : قلت سل ، والكلب حاجتى ، قال : هو لك ، قال : ودابة تكون للصيد ، قال : ودابة ! قال : وغلام يركبها ويتصيد عليها ، قال : وغلام ! قال : وجارية تصلح لنا صيدنا وتعالج طعامنا ، قال : وجارية ! قال أبو دلامة : كلب ودابة وغلام وجارية ! هؤلاء عيال ! لا بد من دار ! قال : ودار ! قال : ولا بد من غلة وضيعة لهؤلاء ، قال : قد أقطعناك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة قال : ما الغامرة ؟ قال : التى لا نبات فيها ، قال : أنا أقطعك

(١) والذى قاله ابن خلكان : أنه كان للخليل راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبى صفرة الأزدى ، وكان والى فارس والأهواز ؛ فكتب اليه يستدعى حضوره ، فكتب الخليل جوابه (هذين البيتين وبعدها) :

الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر فى النفس لا فى المال نعرفه ومثل ذاك الغنى فى النفس لا المال

(فى نسخة طويلة)

خمسمائة جريب في فياف بني أسد ، قال : قد جعلنا لك المائتين عامرة بقي لك شيء ؟ قال : أقبل يدك ، قال : أما هـذه فدعها ! قال : ما منعت عيالي شيئاً أهون عليهم فقدا من هذا [1]

وقيل لبعض من كان مدمناً على الصيد من حكماء الملوك الخ . . . وقيل للزاهد المشغوف بالصيد الخ . . . وهـذا كتاب كليلة ودمنة الخ . . . وكانت ملوك الأعاجم تجمع أصنافها (أي الحيوانات) ، وتدخل أصاغر أولادها عليها وتعرفها الخ . . .

وأشرف الغذاء الذي يحفظ به الأعضاء ، وليس شيء أشبه بها وأسرع استحالة إليها من اللحم ، وأفضل اللحمان ما استدعته الشهوة ، وتقبلته الطبيعة بقوة عليه ، ولا لحم أسرع انهضاماً وأخص بالشهوة موقعاً من لحم الصيد المطرود المكدود ، لأن ذلك ينضجه الخ . . .

وإن كان الحيوان غليظاً ، عكست هـذه الأسباب طبعه ، ونفت ضرره ، وقمعت كيموسه ؛ وربما أكل اللطيف الخفيف على تعنف وتكره ، فكان إلى أن يأخذ من الأعضاء ، أقرب من أن تأخذ منه الأعضاء

وتأول الرواة معنى امرئ القيس في قوله :

رُبَّ رامٍ من بني ثُعَلٍ مخرجٍ كفَّيْهِ من سُتَرِهِ
فأتته الوحشُ واردةً فتمتّى النَّزْعَ من يَسَرِهِ
فرماها في فرائصها من إزاء الحوض أو عُقُرِهِ
مطعمٌ للصيد ليسَ لهُ غيرها كسبٌ على كبرِهِ

على المدح بإدمان الصيد ، وعن الطائر فيه ؛ واستثناؤه بقوله على كبره زائد عندهم في المدح لوصفه أنه يتكلف من ذلك مع قدح السن وأخذها منه شيئاً لا يعجزه مع هذه الحال ، ولا يلحقه فيها ما يعرض للمسن من الفتور والكلال ؛ وبنو ثُعل بنو عمه لأنهم نخذ من طيء ، وكندة نخـذ من مرة ، ومرة أخو طيء فلم يرد غير المدح ؛ وهـذا الرأي عمرو الثعلي ، وكان من أرمى الناس الخ . . .

وفي أبيات امرئ القيس هـذه ، أدب من أدب الصيد ، والطائف حيله ، وهو قوله : فتمتى النزع من يسره ، وتمتى وتمطى واحد ، أبدلت التاء من الطاء ، وفي تمتى معنيان : أحدهما الاعتماد والتوسط من قولهم حصلته في متى كمي ، فتمتاه عمني تعمد متاه (كذا) والآخر بمعنى إبدال التاء من الطاء يريد التمطى [1] وهو أن مريد الصيد بالرمي يتمطى بيساره نحو الأرض مرات حتى يؤنس الطريدة فتألف ذلك منه ولا تذعر له ، ثم حينئذ يستغرق نزعه ويمضي سهمه

ولا يزال امرؤ القيس في كثير من شعره يفخر بالصيد ، وأكل لحمه ، كقوله الخ ...

ومن فضائل الصيد ما فيه من التبرز على ركوب الخيل صعوداً ، وحدوراً ، وكراً ، وانكفاء ، وتعطفاً ، وانثناء الخ ..

وقال بعض الحكماء : قلما يعمشن ناظر زهرة ، أو يزمن مريغ طريدة ، يعني بذلك الخ ..

وليس يكبر الملك الرئيس العظيم الوقور ، إذا أثيرت الطريدة أن يستخف نفسه في اراغتها ، ويستحفز فرسه في أثرها الخ . .

وحكى عن عظماء الأكاسرة الخ .. وعن الخلفاء الراشدين الخ ..

ومنها ما يسنح فيه من النشاط والأريحية الخ ... وربما قويت النفس حينئذ ، وانبسطت الحرارة الغريزية فعملت في كوامن العلل . أخبرني غير واحد ممن شاهد مثل ذلك : أنه رأى من غدا إلى الصيد وهو يجد صداعاً مزمناً ، فظفر فعرض له رعاف حلّل ما كان في رأسه ، وآخر كانت به سلعة بجنب عن بطها قويت عليها الطبيعة فانبطت ، وآخر كان في بدنه جرح الخ ... وربما عكس ما يعرض له من ذلك ذميم حالاته ، فآلت إلى ضدها من الخيرية حتى يتشجع إن كان جباناً ، ويجود وإن كان بخيلاً ، ويتطلق وجهه وإن كان عبوساً

أخبرني بعض الأدباء ، عن رجل من الشعراء ، قصد بعض الكبراء فتعذر عليـه ما أمله عنده ، وحال بينه وبينه الحجاب وكان آلفاً للصيد ، مغرى به ، فعمد الشاعر إلى رقاع لطاف ، فكتب فيها ما قاله من الشعر في مديحه ، وصاد عدة من الظباء والأرانب والثعالب ، وشد تلك الرقاع في أذناب بعضها وآذان بعض ، وراعى خروجه إلى الصيد ، فلما خرج كمن له في مظانه

(١) قال الجاحظ : فانظر إلى حذقه بالمسألة ، ولطفه فيها ، ابتدأ بكلب فسهل القصة به ، وجعل يأتي بما يليه على ترتيب وفكاهة ؛ حتى نال ما لو سأله بديهة لما وصل اليه . « انظر أخبار أبي دلامة في الجزء التاسع من الأغاني »

(١) قال في اللسان والتاج . والتمتى في نزع القوس من الصلب

ثم أطلقها فلما ظفر بها واستبد
زاد في طربه واستظرف الرجـ
وأمر بطلبه فأحضر ونال منـ
ومن شأن النفس أن تتـ
الخ ... وهذا شبيه بما تأوله
بتقديم العدات أمام الهبات ذ
ولو أن محاول حرب ،
مكافحته إياه حتف أنفه ، أو ا
أو جاءه منازعاً طالباً لأمانه ،
لو نازله فقهره ، أو بارزه ف
بالشطرنج الخ . . .
ولو أن ملكا يهدى له
الوحش والطير لم يبلغ فر-
بقبرة ضئيلة يدأب في صيده
وقال بعض المحدثين :
لولا طراد الصيد لم يك ل
هذا الشراب أخو الحياة وما
وأخذ هـذا المعنى محمد
لفظاً حسناً ، في كلمة له يعتـ
أخر ما عنـده لتطـ
وقال بعض الكتاب
(بعد أن مدحه بأبيات) :
لا أستلذ العيش لم أدأب
وأرى حراماً أن يواتيني الفر
فاحبس نوالك عن أخيك موقـ
ومن فضل العلم بالصيد
السندي عن عبد الملك بن صـ
كان نظار وهو مع صالح المصـ

ورأى تلك الرقاع ووقف عليها
ـتلطفه وتنبه على رعى ذمامه ،
ـا كثيراً
عزّها ، وبعـد من ادراكها
ن خالد البرمكي في توصية ولده
ـ لهم الخ ...
ـارع جيش ، ملك عدوه قبل
ـشه من سوء تدبيره فانصرف ،
ـن مقدار السرور بذلك كمقداره
، وهـذا بيّن في الملاعب

ـ يوم عدد كثير من أصناف
ـث جزءاً واحداً من اغتباطه
عكرشة هزيلة يظفر بها الخ ..

فتطاردني بالوصـال قليلاً
من لذة حتى يصيب غليلاً
وزير الحافظ الفـاني فـكساه
من تأخير هدية :
ولذة الصيد حين تطرده
ني رئيساً من برّ بعث به اليه ،

طلباً وسعياً في الهواجر والغلس
حتى يحاول بالعنـاء ويلتمس
فالليث ليس يسيغ إلا ما افترس
كاه لي أبي عن اسحاق بن ابراهيم
الهاشمي عن خالد بن برمك ؛ أنه
صاحب المصلى وغيره من رجال
الدعوة ، وهو على سطح قرية نزل مع قحطبة حين فصلوا من
خراسان وبينهم وبين عدوهم مسيرة أيام إلى أقاطيع ظباء مقبلة
من البر حتى كادت تخالط العسكر ، فقال لقحطبة : ناد في الناس
بالاسراج والالجام وأخذ الأهبة ، فتشوف قحطبة فلم ير شيئاً
يروعه ، فقال لخالد : ما هذا الرأي ؟ فقال : أما ترى الوحش قد
أقبلت ، إن وراءها لجمعاً يكشفها ؛ فما تمالك الناس أن يتأهبوا
حتى رأوا الطليعة ، ولولا علم خالد بالصيد لـكان ذلك العسكر
قد اصطلم

وعذل بعض أبناء الملوك في الاستهتار بالصيد والشغف به الخ

ولما شهد أبو علقمة المري عند سوار أو غيره من القضاة ؛ وقف في قبول شهادته ، فقال له أبو علقمة : الخ

ومن فضائل الصيد أنه كان الملك من ملوك فارس الخ . . .

وكانت لبهرام شوبين حظية الخ . . .

وذكر الأصمعي عن الحارث بن مصرّف الخ . . .

ووقف بعض الملوك بصومعة حكيم من الرهبان فناداه فاستجاب له فقال له : ما اللذة ؟ فقال له : كبائر اللذات أربع ، فعن أيهن تسأل ؟ فقال : صفهن لي ، فقال : هل تصيدت قط ؟ قال : لا (وسأله عن خصال) قال : لا ، قال : فما بقي لك من اللذات ؟..

يتبع — **علي الطنطاوي**

معجم الشعراء

زهاء ألف وخمسمائة شاعر من جاهليين واسلاميين وبعض المحدثين ، مع ذكر أنسابهم وبعض أخبارهم ومختار أشعارهم .
ومؤلفه المرزباني هو صاحب الآثار المدهشة في تاريخ الأدب العربي ، حتى قيل في عصره : انه أحسن تصنيفاً من الجاحظ . ومعه :

المؤتلف والمختلف

تكلم فيه مؤلفه الآمدي على نحو سبعمائة شاعر من تحقيق أسمائهم وأسماء آبائهم وأمهاتهم وألقابهم مما يقع فيه اللبس والغلط ، مع ذكر مختارات من أشعارهم .

٥٥٦ صفحة بالشكل الضروري والفهارس بثلاثين قرشاً مصرياً من الورق الأبيض ، وعشرين قرشاً من الورق المعتاد
يطلبان من مكتبة القدسي بباب الخلق بحارة الجداوي بدرب سعادة بالقاهرة